مجلة التربية والعلم – المجلد (١٦)، العدد (٤)، لسنة ٢٠٠٩

جملة التعريض باليهود في القرآن الكريم
تراكيبها ودلالاتها

د. فيصل مرعي الطائي
قسم اللغة العربية / كلية التربية
جامعة الموصل

القبول	الاستلام
٠٥ / ٠٥ / ٢٠٠٩	٢٤ / ٠٢ / ٢٠٠٩

Abstract

Allusion is of the high linguistic styles, for it entails readiness on the part of the addressee to grasp the meaning; the allusive meaning is beyond the linguistic one so that it is understood either contextually or co-textually.

This paper tackles the Quranic allusions to the Jews as they are the most vicious and violent enemies to the prophet, Allah's blessings and pence be on him, and to his people.

The paper is based on two main sections, the first presents alluding to the Jews which occurred in the indicative contextual structures, whether nominative or verbal. As for the second, it deals with the alluding to the Jews present in the compositional and other structures.

It is obvious that the Holy Quran had alluded to the Jews in thirty instances to show reproachment-which is the most, threat, accusing them of telling lies, telling others to be ware of them, unveiling their tricks and to dispise them. All these instances are passive due to their misfortune and being astray from the straight path of Allah, their killing of the prophets and fighting those who call for the right and faith.

So, this paper baffles their false allegations that they are Allah's lovers, the elite and the chosen people.

الملخص

يعدّ أسلوب التعريض من الأساليب اللغوية الراقية، ذلك لأنه يستدعي حضور ذهن المتلقي وإعماله من أجل فهم المراد، فالمعنى التعريضي يتعدى اللفظ ليُفهم من القرائن – سياقية كانت أو خارجية –.

وعُني هذا البحث بدراسة التعريضات القرآنية باليهود لأنهم أخبث الأعداء وأشدّهم عداوةً للنبي ﷺ ولأمته من بعده.

وبُني البحث على مبحثين رئيسين تكلمنا في الأول عن التعريض باليهود الوارد في سياق التراكيب الخبرية، الاسمية والفعلية، وتكلمنا في الثاني عن التعريض باليهود الوارد في سياق التراكيب الإنشائية والتراكيب الأخرى.

وقد ظهر لنا أن القرآن الكريم قد عرّض باليهود في ثلاثين موضعاً، بدلالات تنوعت بين التوبيخ –وكان أكثرها – ، والتهديد، والتكذيب، والتحذير منهم، وكشف حيلهم . ونرى أن جميع هذه الدلالات كانت سلبية، وذلك لسوء حال اليهود، وبعدهم عن منهج الله تعالى، وقتلهم الأنبياء، ومحاربتهم دعاة الحق والإيمان؛ فكان هذا البحث نقضاً لدعواتهم الكاذبة أنهم أحباب الله وأصفياؤه وشعبه المختار.

— — — — — — — — — — — —

قبل أن نبدأ بالمبحث الأول لابدَّ أن نقف عند معنى (التعريض)، وسنتناوله من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية، باختصار يناسب حجم هذا البحث:

- **التعريض لغة:**

قال صاحب مقاييس اللغة : ((العين والراء والضاد بناء تكثر فروعه، وهي مع كثرتها ترجع إلى أصل واحد، وهو العَرْضُ الذي يخالف الطول))⁽¹⁾، وقد أجمع أصحاب المعاجم اللغوية على أن التعريض هو خلاف التصريح، قال الجوهري (٣٩٣هـ): ((التعريض: خلاف التصريح، يقال: عرّضت لفلان وبفلان إذا قلت قولاً وأنت تعنيه))⁽²⁾.

- **التعريض اصطلاحاً:**

اختلف البلاغيون في التعريض، وتباينت آراؤهم، فمنهم من ذهب إلى أن التعريض والكناية شيء واحد ⁽³⁾، ومنهم من جعل التعريض قسماً من الكناية ⁽⁴⁾، وآخرون ذهبوا إلى أن التعريض يختلف عن الكناية⁽⁵⁾.

والذي نميل إليه وبنينا عليه بحثنا هذا هو الفصل بين الكناية والتعريض، فالتعريض هو ((اللفظ الدالّ على الشيء من طريق المفهوم، لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي))⁽¹⁾، ومن أدق ما

---

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس: ٣٢٠/٤ (عرض).

(٢) الصحاح: ١٠٨٧/٣ (عرض)، وينظر: لسان العرب، ابن منظور : ٧٤٣/٢ (عرض)، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي: ٣٣٦/٢ (عرض).

(٣) ينظر: كتاب البديع، ابن المعتز: ٦٤.

(٤) ينظر: تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة: ٢٦٣، ومفتاح العلوم، السكاكي: ٦٤٧.

(٥) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري : ٣٧٢/١، ٣٧٣، والمثل السائر، ابن الأثير: ٥٢/٣، والكناية في القرآن الكريم، أحمد فتحي رمضان (أطروحة دكتوراه): ١٩.

عُرّف به التعريض هو ((المعنى الحاصل عند اللفظ لا به، وإن شئت قلت : هو المعنى المدلول عليه بالقرنية دون اللفظ))(٢)، والتعريض لا يكون إلا في الجملة لأنه يُفهم من السياق(٣).

المبحث الأول

التراكيب الخبرية

والخبر – كما عرفه البلاغيون – هو ((الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب لذاته))(٤)، والتراكيب الخبرية تتضمن الجملتين الاسمية والفعلية، وعلى هذا سيكون تقسيمنا لفقرات هذا المبحث:

- **تراكيب التعريض بالجملة الاسمية:**

استغرقت الجملة الاسمية في التعريضات القرآنية باليهود على تسعة تراكيب، يمكننا بيانها مع دلالاتها في الجدول الآتي:

ت	التركيب	الجملة التعريضية	دلالاتها	اسم السورة	رقم الآية
١	مبتدأ (اسم مفرد)+خبر (اسم مفرد)	اللهُ أعلمُ بأعدائكم...	التحذير	النساء	٤٥
٢	مبتدأ (اسم مفرد)+خبر (شبه جملة)	فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم...	التهديد	البقرة	٧٩
٣	خبر مقدم (شبه جملة)+مبتدأ مؤخر (اسم مفرد)	ولله المشرق والمغرب...	التوبيخ	البقرة	١١٥
٤	مبتدأ (ضمير منفصل)+خبر (جملة فعلية)	ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم...	التوبيخ	البقرة	٨٥
٥	مبتدأ (ضمير منفصل)+خبر (اسم موصول)	هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب...	التوبيخ	الحشر	٢
٦	إنَّ+اسمها (اسم مفرد)+خبرها (اسم موصول)	إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه...	التكذيب	آل عمران	٦٨
٧	إن+اسمها (ضمير متصل)+ خبرها (جملة فعلية)	إنا أنزلنا التوراة فيها هدى...	التوبيخ	المائدة	٤٤
٨	إنَّ+اسمها (اسم موصول)+خبرها (جملة اسمية)	إن الذين يكتمون ما أمر الله من الكتاب...	التهديد	البقرة	١٧٤
٩	إن+اسمها (اسم موصول)+خبرها (جملة فعلية)	إن الذين يكفرون بآيات الله ...	التهديد	آل عمران	٢١

ولا يسعنا في هذا المقام أن نحلل جميع التراكيب لاحتكامنا إلى عدد قليل من الصفحات، ولذلك سنعمدُ إلى انتقاء ثلاثة تراكيب هي : الأول والثاني والسادس محللين الجملة التعريضية الواردة فيها.

---

(١) المثل السائر: ٥٢/٣.

(٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، العلوي: ٣٩٧/١.

(٣) الجملة التعريضية في القرآن الكريم – أنماطها ودلالاتها – ، نوار محمد إسماعيل الحيالي (رسالة ماجستير): ٢١.علما أن هذه الرسالة لم تذكر أيا من مواضع التعريض باليهود.

(٤) البلاغة الاصطلاحية، عبد العزيز قلقيلة: ١٢٩.

- جملة التركيب الأول:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥]

التعريض في هذه الآية الكريمة مرتكز في الجملة الاسمية التي تبدأ بها، والتي تتكون من (المبتدأ) الذي هو لفظ الجلالة (الله)، ومن خبره المتمثل بالاسم المفرد (أعلم)، تتبعها متعلقاتها (الجار والمجرور). ثم تأتي الجملتان الفعليتان بعدها لتؤكدان بالدلالة وبالبائين المؤكدتين أن الله تعالى ولي المؤمنين وناصرهم.

والدلالة الصريحة لهذه الآية الكريمة أن الحق سبحانه وتعالى هو العليم الخبير الذي لا تخفى على علمه صغيرة ولا كبيرة، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ومن ذلك علمه بأعداء الإسلام وحسّاده والكائدين له، وعلى المؤمنين أن يلتجئوا إليه من كيد أولئك فهو وليهم وناصرهم وكافيهم.

وإذا أردنا أن نتلمس المعنى التعريضي في هذه الآية الكريمة فلابد – أولاً – من أن ننظر إلى الآية التي سبقتها لأن لها تعلقاً كبيراً بها، والتي يقول سبحانه فيها: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء: ٤٤]، فهي تبين أن أحبار اليهود باعوا الهدى – الذي هو الإسلام – بالضلال وهو ((البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله (ﷺ)))(١).

ومن تأملنا في مدلولات الآية مع ربطها بالآية التي تسبقها نستطيع أن نستشف تعريضاً باليهود فالآية ((تعريض بهم لأن إرادتهم الضلالة للمؤمنين عن عداوة وحسد))(٢) والذي أعاننا على هذا الفهم هو القرينة السياقية.

ودلالة التعريض في الآية الكريمة هي ما قاله صاحب المحرر الوجيز (التحذير من اليهود)(٣) ومن مكائدهم وحسدهم وشرهم، وهذا الحسد يأتي من ((اطلاعهم وقراءتهم للأوامر والنواهي التي سبقت هذه الآيات، ومشروعية الطهارة، فإن ذلك من الهدى الذي لم يسبق لليهود نظيره، فهم يحسدون المسلمين عليه، لأنهم حُرموا من مثله، وفرّطوا في هدىً عظيم، وأرادوا إضلال المسلمين عداءً منهم))(٤)، فالآية الحاوية على جملة التعريض باليهود شهادة دامغة لا تقبل الشك على أنهم كانوا ومازالوا وسيبقون أهل عداوة وكيد وغدر للمسلمين، فعلى المسلمين أن يحذروا منهم كل الحذر، وأن لا يثقوا بهم أبداً، ولا يخشوهم فالله ناصر المؤمنين ووليهم.

- جملة التركيب الثاني:

---

(١) الكشاف: ١/٥٣٠.

(٢) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد، المسمى اختصاراً (التحرير والتنوير)، ابن عاشور: ٥/٧١.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية: ٤/٨٥.

(٤) التحرير والتنوير: ٥/٧٢.

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩]

يكمن التعريض في هذه الآية في الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ (ويل) مع خبره (الجار والمجرور) (للذين) ثم متعلقات ذلك الخبر – نعني جملة صلة الموصول ومكملاتها–.

ودلالة الآية الصريحة بتدو عامة تشمل أي إنسان يفتري على الله تعالى الكذب، و تبيّن مصيره، ولكنّ المتأمل في النص بعد أن يطلع على سبب نزوله – وهو القرينة الخارجية التي نستشف منها التعريض – سيلمح حتماً ذلك التعريض بأحبار اليهود، قال الواحدي في أسباب النزول: ((نزلت في الذين غيّروا صفة النبي (ﷺ) وبدّلوا نعته، ...، وكانت للأحبار والعلماء مأكلة من سائر اليهود، فخافوا أن يُذهبوا مأكلتهم إن بينوا الصفة، فمن ثم غيّروا))⁽¹⁾، وقاموا بكتابة أشياء لم يأتِ بها رسلهم بل ابتكروها بأنفسهم، ثم يفضحهم الله تعالى بقوله (بأيديهم) لأن في ذلك ((بيان لجرمهم، وإثبات مجاهرتهم الله تعالى))⁽²⁾، وفيه تأكيد أيضاً على شناعة فعلهم وذلك ((لأن الكتابة لا تكون إلا باليد))⁽³⁾، وما صنعوا ذلك الجرم إلا لمنفعة دنيوية خاسئة تبينها جملة (ليشتروا به ثمناً قليلاً) فتصدرت الجملة هنا لام التعليل لتبين أن الثمن هو ((إرضاء العامة بأن غيروا لهم أحكام الدين بما يوافق أهواءهم أو انتحال العلم لأنفسهم مع أنهم جاهلون، وهذه شنشنة الجهلة المتطلعين إلى الرئاسة من غير أهلية، ليظهروا في صور العلماء لدى أنظار العامة ومن لا يميّز بين الشحم والورم))⁽⁴⁾.

ودلالة التعريض في الآية الكريمة هي (التهديد والوعيد)، فالآية إيذان بمصير أولئك اليهود المفترين على الله الكذب، والمبدلين لكلام الله، وهو الويل الثبور ، الذي تأكد في تكرار كلمة (ويل) ثلاث مرات، ولا يخفى ما لهذا التكرار من هيبة وتأثير في النفس، فهو يجعل المشاعر تهتز، والقلب يرتعد، والعيون لا تكاد تحتضن الدموع.

- **جملة التركيب السادس:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]

يكمن التعريض هنا في الجملة الاسمية المكونة من (إنّ) مع اسمها (أولى) وخبرها الاسم الموصول (الذين) مع متعلقاته (جملة صلة الموصول) والمعطوف عليها.

---

(١) أسباب النزول، الواحدي: ١٤.

(٢) المحرر الوجيز: ٣٦٥/١.

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان: ١٦٩/١.

(٤) التحرير والتنوير: ٥٧٧/١.

ونلحظ أن الجملة جاءت مؤكدة بمؤكدين (إنّ+اللام) وهذا لتقوية المعنى وتثبيته في أذهان المتلقين.

والدلالة الصريحة للآية الكريمة هي : ((إن أولى الناس بإبراهيم الخليل (عليه السلام) هم القوم الذين على ملته الحنيفية))(١) وسيد من على ملة إبراهيم (عليه السلام) هو محمد (ﷺ) ومعه من آمن به.

لكن المولى سبحانه حين أتى بهذه الآية الكريمة لم يُرِد منها مفهومها العام فحسب ، بل أراد من وراء ذلك أن يعرّض باليهود الذين زعموا أنهم أولى بإبراهيم (عليه السلام) من محمد (ﷺ)، فقد روي في سبب نزول هذه الآية ((قال اليهود : والله يا محمد لقد علمت أنّا أولى بدين إبراهيم منك ومن غيرك، وأنه كان يهودياً، وما بك إلا الحسد، فأنزل الله تعالى هذه الآية))(٢)، فمن سبب النزول الذي يعد القرينة الخارجية، ومن القرينة السياقية أيضاً التي تمثلت بالآيات السابقة لهذه الآية والتي يقول فيها سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥–٦٧] يمكننا أن نتلمس التعريض باليهود.

ودلالة التعريض في هذه الآية هي (تكذيب اليهود) وتفنيد ادعاءاتهم ودحض مزاعمهم وأباطيلهم المضلِّلة، فما كان اليهود أولى الناس بإبراهيم (عليه السلام)، بل إن أولى الناس به هم الذين اتبعوه في حياته وساروا على نهجه، واحتكموا إلى شرعه واتبعوا حنيفيته، أولئك هم أولياؤه، وهذا النبي (ﷺ) الذي يرتبط معه بالتوحيد وإخلاص الربوبية لله (عز وجل) والإسلام لله تعالى بشهادة الله أصدق الشاهدين (ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين).

ونلحظ في هذه الآية إفراد النبي (ﷺ) بالذكر (وهذا النبي) وذلك ((تعظيماً لشأنه وتشريفاً، وأولويته (ﷺ) بإبراهيم (عليه السلام) من جهة كونه من ذريته، ومن موافقته لدينه في كثير من الشريعة المحمدية))(٣)، ثم الذين آمنوا بهذا النبي (ﷺ) وهم أمة الإسلام، فهم ملتقون مع إبراهيم (عليه السلام) في المنهج والطريق، والله تعالى – بعد ذلك – وليّ المؤمنين جميعاً إبراهيم ومن آمن به وسار على دربه وحنيفيته إلى يوم القيامة.

- **تراكيب التعريض بالجملة الفعلية:**

اتسقت الجملة الفعلية بأنواعها الثلاثة (فعلها ماض /فعلها مضارع /فعلها أمر) على خمسة تراكيب، ثلاثة منها كانت مبتدئة بالفعل الماضي، وواحد ابتدأ بالفعل المضارع، والأخير ابتدأ بفعل الأمر، ونبينها بالجدول الآتي:

---

(١) المحرر الوجيز: ٣/١٦٠.

(٢) أسباب النزول، الواحدي: ٦٠.

(٣) فتح البيان: ٢/٧٨.

	ت	التركيب	الجملة التعريضية	دلالاتها	اسم السورة	رقم الآية
تراكيب الجملة الفعلية التي فعلها ماض	١	فعل ماض + فاعل	ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم... ودّت طائفة من أهل الكتاب ...	التوبيخ التوبيخ	البقرة آل عمران	١٠٩ ٦٩
	٢	فعل ماض + فاعل	وقالت طائفة من أهل الكتاب ...	التوبيخ	آل عمران	٧٢
	٣	فعل ماض +فاعل +جار ومجرور (مفعول١)+مفعول٢	وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا...	التوبيخ	السجدة	٢٤
تركيب الجملة الفعلية التي فعلها مضارع	١	فعل مضارع + فاعل + مفعول به	... يهدي من يشاء الى صراط مستقيم	الاحتقار	البقرة	١٤٢
تركيب الجملة الفعلية التي فعلها أمر	١	فعل أمر + فاعل (ضمير متصل) + مفعول به (اسم موصول)	فافعلوا ما تؤمرون	التوبيخ	البقرة	٦٨

سنختار من هذا الجدول ثلاثة تراكيب، واحداً من الجملة الفعلية التي فعلها ماض، والثاني تركيب الجملة الفعلية التي فعلها مضارع، والثالث تركيب الجملة الفعلية التي فعلها أمر:

- **تركيب الجملة الفعلية التي فعلها ماض:**

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]

نرى في هذه الآية الكريمة أن التعريض باليهود يكمن في الجمل الماضوية الثلاث (جعلنا...) و(صبروا) و(كانوا...) ومتعلقاتها، والجملة الأولى كان فعلها متعدٍ لمفعولين، والجملة الثانية كان فعلها لازماً، في حين كان فعل الجملة الثالثة ناقصاً.

ودلالة الآية الصريحة هي إخبار المولى (ﷻ) أنه جعل من بني إسرائيل أئمة، يدعون الناس إلى الهداية على وفق شرع الله تعالى ودينه، وأنهم ما استحقوا تلك المنزلة إلا حين صبروا على مشاق التكليف وما لاقوه من فرعون وقومه من العذاب الأليم والاضطهاد، وتيههم في البرية أربعين سنة، وتدبروا في الآيات ونظروا حتى أيقنوا(١).

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣٧/٢٠، والوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحدي: ٨٠٥/٢.

وحين نتأمل في سياق الآية وما تحمله في طيّاتها يمكننا أن نلحظ تعريضاً باليهود في زمن النبي (ﷺ) وفي كل زمن، وكأن السياق يقول لهم : إنكم حين لم تصبروا على طاعة الله والالتزام بشرعه، وحرّفتم الحق وحاربتموه، وصل بكم الحال إلى أن تُمقتوا وتُبغَضوا من الله تعالى، ومن عباده المؤمنين، بل أصبحتم من أخبث العباد وأخسهم، في حين أنكم لو قلدتم أجدادكم الذين صبروا على الدعوة ومشاقّها، واتقوا ربهم وأيقنوا بالحق ولم يكذّبوه، لكان حالكم كحالهم، ولكنتم أئمة هدى بدل أن تكونوا أئمة ضلال.

ودلالة التعريض في الآية الكريمة هي (التوبيخ) لأولئك اليهود الذين خالفوا نهج أسلافهم، فحُرموا من أن يوصفوا بوصفهم ووُصفوا بضدّه تماماً.

وقد لمح صاحب التحرير والتنوير تعريضاً مغايراً للتعريض باليهود في هذه الآية فقال : ((وفي هذا تعريض بالبشارة لأصحاب رسول الله (ﷺ) بأنهم يكونون أئمة لدين الإسلام وهداة للمسلمين إذ صبروا على ما لحقهم في ذات الله من أذى قومهم، وصبروا على مشاق التكليف ومعاداة أهلهم وقومهم وظلمهم إياهم))(١).

ونرى أن هذا التعريض بالبشارة لا يخصّ الصحابة الكرام فقط بل يتعدّاهم إلى كل مؤمن ملتزم بدين الله داعٍ إليه على منهج الله، باذل في سبيله كل غال ونفيس، صابر على ما يلحقه من ذلك الالتزام، موقن بأن العاقبة للمتقين المؤمنين الموحدين.

وقد ((قدّم سبحانه (بآياتنا) على (يوقنون) للاهتمام بالآيات))(٢).

- تركيب الجملة الفعلية التي فعلها مضارع:

قال تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]

نلحظ في هذه الآية الكريمة أن التعريض يكمن في الجملة الفعلية المضارعية المكونة من الفعل المضارع (يهدي) الذي استتر فيه فاعله الضمير (هو) العائد على المولى سبحانه وتعالى، والمتبوع بالمفعول به الاسم الموصول (مَن) متلواً بجملة صلة الموصول (يشاء).

والدلالة الظاهرة للآية هي أن الله (ﷻ) يبين أنه لابد للمسلم أن يستجيب لحكم الله، ولا يعترض على أمره، فإن ذلك من شأن الجهّال، من أمثال أولئك الذين اعترضوا على تحوّل المسلمين في التوجه في أثناء الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة المطهرة، فردّ الله تعالى عليهم إنكارهم هذا، ووصفهم بقلة الفهم(٣).

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٠/٢٣٧.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٠/٢٣٧.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٢/١٠٠.

ونستطيع أن نلمح تعريضاً باليهود في هذه الآية، وذلك بدلالة القرينة الخارجية المتمثلة بسبب النزول، إذ ورد فيه ((عن البراء قال : لمّا قدم رسول الله (ﷺ) المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله (ﷺ) يحب أن يتوجه إلى الكعبة، فأنزل الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا . . .﴾ [البقرة: ١٤٤]، فقال السفهاء من الناس وهم اليهود : ما ولّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها، فقال الله تعالى (قل لله المشرق والمغرب)))(١)، فالآية تعرّض باليهود الذين كانوا قد أعجبهم أن يصلي النبي (ﷺ) قبل بيت المقدس، فلمّا غير وجهته إلى البيت الحرام أنكروا عليه ذلك(٢).

ودلالة التعريض هنا هي (الاحتقار والتقليل من الشأن) فالله تعالى يحتقر اليهود ويقلل من شأنهم ويُشعرهم بأنهم ضالّون وأن المسلمين مهتدون.

ولا يخفى ما في تقديم الخبر على المبتدأ في قوله تعالى (قل لله المشرق والمغرب) من تخصيص وحصر لملكية المشرق والمغرب، وأحقية توجيه العباد إلى أية جهة يريدها المولى سبحانه، وما للعباد إلا أن يسمعوا ويطيعوا.

- تركيب الجملة الفعلية التي فعلها أمر:

قال تعالى: ﴿قَالُواْ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُواْ مَا تُؤْمَرونَ﴾ [البقرة: ٦٨]

نرى أن التعريض في هذه الآية الكريمة يكمن في الجملة الفعلية الأمرية (فافعلوا ما تؤمرون)، وهذه الجملة تتكون من فعل أمر متلو بفاعل (الضمير المتصل) الذي يعود على اليهود المماطلين، ثم يتلوه اسم موصول مفعول به قد أوضح بصلته.

والدلالة العامة التي نفهم من هذه الآية الكريمة هي أن الله تعالى يأمر اليهود بأن ينفذوا أوامره ولا يكثروا من السؤال والاستفسار.

ولكن حين نتأمل في هذه الآية الكريمة نجد أن ثمة تعريضاً باليهود على تماطلهم وكثرة أسئلتهم، والقرينة سياقية معلومة من خلال ما ذكر قبل الأمر بفعل ما يؤمرون، فالله تعالى أمرهم بذبح بقرة أية بقرة، وكان يجدر بهم أن ينفذوا الأمر الإلهي من دون تأخير أو مماطلة أو سؤال، لكنهم لتزعزع إيمانهم وعدم رسوخه في قلوبهم، بدأوا يوجّهون السؤال تلو السؤال، وحين شدّدوا شدَّد الله تعالى عليهم(٣).

ودلالة التعريض هنا هي (التوبيخ)، فالمولى الجليل يوبّخ اليهود على مماطلتهم وكثرة أسئلتهم، ويجدر بنا أن نشير هنا إلى دلالة الاسم الموصول (ما) الدال على غير العاقل والذي

---

(١) أسباب النزول: ٢١.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٥/٢.

(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١/ ٣٠٤، والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ٤١٥/١.

استعمل في هذا السياق للإشارة إلى تعميم وشمول كل ما يأمرهم به الله تعالى، فأوامر الله تعالى يجب أن تطاع كلها من دون تأخير.

ونلمح أيضاً من بناء الفعل المضارع (تؤمرون) للمجهول تجاهلاً لهم وتقليلاً من شأنهم ، أو إبهاماً لمصدر الأمر ليشمل الأمر الإلهي والأمر النبوي ليتعلموا عدم مراجعة الأنبياء في أقوالهم إذ لم يخاطبهم بما يشير إلى نسبتهم إليه فلم يقل لهم مثلاً (ما يأمركم ربكم).

المبحث الثاني

التراكيب الإنشائية وتراكيب أخرى

- **التراكيب الإنشائية:**

الإنشاء هو ((الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته))[1]، والتراكيب الإنشائية في اللغة العربية كثيرة، ورد منها في سياقات التعريض باليهود في القرآن الكريم أسلوبان بأربعة تراكيب (أسلوب الاستفهام /وأسلوب النهي)، وقد ورد كل منهما بتركيبين، وهذا مبين في الجدول الآتي:

	ت	التركيب	الجملة التعريضية	دلالاتها	اسم السورة	رقم الآية
تركيبا أسلوب الاستفهام	١	همزة استفهام + فعل مضارع + فاعل + مفعول	أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم... أتُحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم...	التوبيخ التوبيخ	البقرة البقرة	٤٤ ١٣٩
	٢	همزة استفهام + أداة نفي + فعل مضارع والفاعل ضمير مستتر	ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم ... ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب... ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب... ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم... ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب...	التوبيخ التوبيخ التوبيخ التوبيخ التوبيخ	البقرة آل عمران النساء النساء النساء	٢٤٣ ٢٣ ٤٤ ٤٩ ٥١
تركيبا أسلوب النهي	١	لا الناهية + فعل مضارع + فاعل	يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعِنا...	كشف الحيل	البقرة	١٠٤
	٢	لا الناهية + فعل مضارع ناقص + اسمه وخبره	يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين أذوا موسى...	التحذير	الأحزاب	٦٩

---

[1] الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني: ٢٢٧/١، والبلاغة العربية – المعاني والبيان والبديع – أحمد مطلوب: ٨٤.

ولا يسعنا تحليل جميع التراكيب، ولذلك سنختار ثلاثة منها؛ تركيبي أسلوب الاستفهام وتركيب ثالث من أسلوب النهي.

- جملة التركيب الأول لأسلوب الاستفهام:

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]

نلحظ في هذه الآية الكريمة أن التعريض قد تركز في الجملة المكونة من أداة الاستفهام (الهمزة)، المتلوة بجملة فعلية فعلها مضارع مسندة إلى جماعة المخاطبين (تأمرون)، وقد عطف على هذه الجملة بجملة فعلية أخرى فعلها مضارع أيضاً، جاءت لتتمم المعنى وتوضحه، ثم جيء بجملة اسمية حالية تجعل الصورة واضحة ومتكاملة، لتنتهي الآية بجملة استفهامية فعلية أخيرة.

والقارئ لهذه الآية يرى أن ظاهر دلالتها موجه إلى بني إسرائيل كافة، بدلالة سياق الآيات التي تقدمتها ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]

لكننا حين نطلع على سبب نزول هذه الآية الكريمة يمكننا أن نلمح التعريض باليهود، فقد قيل في سبب نزولها: ((قال ابن عباس (ﷺ): نزلت في يهود المدينة، كان الرجل منهم يقول لصهره ولذوي قرابته ولمن بينه وبينهم رضاع من المسلمين: اثبت على الدين الذي أنت عليه وما يأمرك به هذا الرجل – يعنون محمداً (ﷺ) – فإن أمره حق، فكانوا يأمرون الناس بذلك ولا يفعلونه))⁽¹⁾، فالمولى سبحانه يعرّض بيهود المدينة، فهم المتصفون بهذا الوصف،وفي ذلك قال صاحب التحرير والتنوير: ((ففيه تعريض بأنهم يعلمون أن ما جاء به رسول الإسلام هو الحق، فهم يأمرون أتباعهم بالمواعظ، ولا يطلبون النجاة لأنفسهم))⁽²⁾.

ودلالة التعريض في هذه الآية الكريمة هي (التوبيخ) توبيخ اليهود وتقريعهم، فلا ينبغي أن يكونوا من الدعاة إلى الإيمان – بوصفهم أهل كتاب بين مشركين – وهم في الوقت نفسه يغفلون عن أنفسهم وينسونها.

والاستفهام في قوله تعالى (أتأمرون) خرج إلى معنى (الإنكار والتوبيخ)، ((وليس المراد توبيخهم على نفس الأمر بالبر فإنه فعل حسن مندوب إليه، بل سبب ترك فعل البر المستفاد من قوله تعالى (وتنسون أنفسكم)))⁽³⁾. وكذلك نلحظ التبكيت والتقريع ⁽⁴⁾ في قوله تعالى (وأنتم تتلون

---

(1) أسباب النزول: ١٣.

(2) التحرير والتنوير: ٤٧٦/١.

(3) فتح البيان: ١٢٩/١.

(4) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المسمى (تفسير أبي السعود)، أبو السعود محمد العمادي: ١٢٩/١.

الكتاب)، بل إنها ((مشتملة على أعظم تقريع وأشد توبيخ وأبلغ تبكيت))(١)، فنسيان النفس يكون أغرب وأفظع حسن يكون معه أمران يقلعانه، وهما: أمر الناس بالبر، وتلاوة الكتاب (٢)، ولذلك ختم سبحانه الآية باستفهام آخر خرج إلى معنى التوبيخ (أفلا تعقلون) وهو يحمل في طيّاته تعريضاً بغبائهم وعدم استعمالهم لعقولهم، فكانت الضربة القاضية التي أجهزت على أولئك النفر الذين لا قلوب لهم تعي، ولا عقول تفكر، ولا مشاعر تتحرك.

- جملة التركيب الثاني لأسلوب الاستفهام:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩]

نرى في هذه الآية الكريمة أن التعريض تركز في الجملة الفعلية المسبوقة بأداة الاستفهام (الهمزة) المتلوة بأداة النفي والجزم والقلب (لم)، فكان فعل الجملة مضارعاً مجزوماً، وقد أُتبع الفعل وفاعله المستتر بجار ومجرور وقع موقع المفعول، وتُلي المجرور الذي هو الاسم الموصول (الذين) بجملة الصلة التي توضح دلالة الموصول وتبينها، وبعد ذلك تأتي (بل) الاضرابية لتؤكد المعنى الصحيح وترسخه في ذهن المتلقي بالجملة الاسمية الثابتة.

وحين نقرأ الآية الكريمة نرى أن الدلالة الصريحة التي تُفهم منها هي النهي عن تزكية الأنفس، وإن تزكية النفس ليس من اختصاص البشر، فالذي يزكيها هو خالقها وحده، الذي يعلم سرّها ونجواها، وظاهر الآية أنها عامة ((يدخل فيها كل من يزكي نفسه، ويصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة، والتقوى والزلفى عند الله))(٣).

ولو تأملنا في سبب نزول الآية الذي قال عنه الواحدي في أسباب النزول: ((قال الكلبي: نزلت في رجال من اليهود أتوا رسول الله (ﷺ) بأطفالهم، وقالوا: يا محمد هل على أولادنا هؤلاء من ذنب؟ قال: لا، فقالوا: والذي نحلف به ما نحن إلا كهيئتهم، ما من ذنب نعمله بالنهار إلا كفّر عنّا بالليل، وما من ذنب نعمله بالليل إلا كُفِّر عنّا بالنهار، فهذا الذي زكّوا به أنفسهم))(٤) يمكننا أن نلحظ تعريضاً باليهود الذين اتفق المفسرون على أنهم المقصودون بهذه الآية (٥)، وذلك عن طريق القرينة الخارجية.

ودلالة التعريض في هذه الآية الكريمة هي (توبيخ اليهود وتقريعهم) على ادّعائهم هذا، وتخريسهم وردهم عن دعواهم، مبيناً أن تزكية الأنفس خاصة بالله عز وجل العالم بسرائر القلوب، وبطائن النفوس.

---

(١) فتح البيان: ١/١٢٩.

(٢) التحرير والتنوير: ١/٤٧٦.

(٣) الكشاف: ١/٥٣٣.

(٤) أسباب النزول: ٨٨.

(٥) فتح البيان: ٢/٢٩٨.

ثم يأتي التصريح من الله تعالى بإبطال تزكيتهم أنفسهم (بل الله يزكي من يشاء) فمن يزكي نفسه لا حظ له في تزكية الله، وهنا ملحظ دلالي جميل، فلو لم يذكر المولى سبحانه (بل) فقال : الله يزكي من يشاء، لكان لليهود مطمع في أن يكونوا ممن يزكيه الله (ﷻ)(١)، ولكنه سبحانه حين أضرب عن الكلام السابق بـ (بل) جعلهم من المستثنين من تزكية الله لهم . وأما الاستفهام في (ألم) فإنه قد خرج إلى معنى مجازي هو التقرير.

- **جملة التركيب أسلوب النهي:**

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البقرة: ١٠٤]

تركز التعريض في هذه الآية الكريمة في الجملة المضارعية (تقولوا) المسبوقة بحرف نهي وجزم (لا)، والمتبوعة بجملة فعلية أمرية (راعنا) الكائنة مقولاً للقول.

وصريح دلالة الآية يدل على أمر الله تعالى لعباده المؤمنين بأن يبدّلوا كلمة مكان أخرى، بدلالة (لا تقولوا) و (قولوا).

ولكن لمَ هذا التغيير؟ نستطيع أن نجيب على هذا السؤال حين نطلع على سببه نزول هذه الآية، حيث قال ابن عباس (ﷺ): ((وذلك أن العرب كانوا يتكلمون بها [أي بكلمة راعنا] فلما سمعتهم اليهود يقولونها للنبي (ﷺ) أعجبهم ذلك، وكان (راعنا) في كلام اليهود سبّاً قبيحاً، فقالوا : إنا كنا نسب محمداً سراً، فالآن أعلنوا السب لمحمد، فإنه من كلامه، فكانوا يأتون النبي (ﷺ) فيقولون : يا محمد راعنا، ويضحكون، ففطن بها رجل من الأنصار وهو سعد بن عبادة، وكان عارفاً بلغة اليهود، فقال : يا أعداء الله عليكم لعنة الله، والذي نفس محمد بيده لو سمعتها من رجل منكم لأضربنَّ عنقه، فقالوا : ألستم تقولونها؟ فأنزل الله تعالى الآية))(٢)، فالمراد من تغيير هذه الكلمة اجتناب دسيسة من دسائس اليهود.

ودلالة التعريض في الآية الكريمة هي (كشف حيل اليهود) وفضح أباطيلهم ودسائسهم، ليحذرهم المسلمون.

ونلحظ أن جملة التعريض قد أُتبعت بجملة أمرية (وقولوا أنظرنا) تبياناً لكيفية مخاطبة رسول الله (ﷺ) بما لا يحتمل النقص ولا يصلح للتأويل.

ثم يأتي الأمر الإلهي للمؤمنين (واسمعوا) ((وأريد به سماع خاص، وهو الوعي ومزيد من التلقي حتى لا يحتاجوا إلى طلب المراعاة والنظر))(٣)، وقيل: ((اسمعوا سماع طاعة وقبول ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا: (سمعنا وعصينا)))(٤)، وعلى هذا المعنى ففي قوله تعالى (واسمعوا) تعريض آخر باليهود، دلالته التوبيخ، فهم يسمعون ولا يمتثلون.

---

(١) التحرير والتنوير: ٥/٨٤.

(٢) أسباب النزول: ١٨.

(٣) التحرير والتنوير: ١/٦٥١.

(٤) تفسير أبي السعود: ١/١١٠.

- **تراكيب أخرى:**

ورد في التعريض باليهود في القرآن الكريم في أساليب أحببنا ان نفردها بالبحث هي: أسلوب الشرط، وقد ورد بثلاثة تراكيب ، وأسلوب النفي، وقد ورد بتركيب واحد، وهذا مبين في الجدول الآتي:

	ت	التركيب	الجملة التعريضية	دلالاتها	اسم السورة	رقم الآية
أسلوب الشرط	١	مَنْ + فعل الشرط (ماض ناقص) + جواب الشرط مقترناً بالفاء	قل من كان عدواً لجبريل ... من كان عدواً لله وملائكته ورسله...	التوبيخ التهديد والوعيد	البقرة البقرة	٩٧ ٩٨
	٢	مَنْ + فعل الشرط (ماض) + الفاء + جواب الشرط مقترناً بالفاء	بلى من أوفى بعده واتقى	التوبيخ	آل عمران	٧٦
	٣	ما + فعل الشرط (مضارعاً) + جواب الشرط (مضارعاً)	ما ننسخ من آية او ننسها نأتِ بخير منها أو مثلها	التوبيخ	البقرة	١٠٦
أسلوب النفي	١	ما + فعل ماضي	وما مسنا من لغوب	التكذيب	ق	٣٨

وسننتخب من هذه التراكيب تركيبين للتحليل، تركيب لأسلوب الشرط، وتركيب لأسلوب النفي:

- **جملة تركيب أسلوب الشرط:**

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]

تركز التعريض في هذه الآية الكريمة في جملة الشرط المبدوءة بـ (مَنْ) الشرطية، وقد تلاها فعل الشرط الذي هو فعل ماض ناقص (كان) جاء مع اسمه الذي هو ضمير مستتر وخبره ومعطوفات الخبر، ثم تأتي الفاء الرابطة بين فعل الشرط وجوابه يتلوها جواب الشرط المتمثل بـ(إنَّ) مع اسمها وخبره ا ومتعلقة، وقد أفادت (إنَّ) التوكيد حيث أكدت عداوة الله تعالى للكافرين بما لا يقبل الشك.

والدلالة الصريحة لـلآية أن كل من عادى الله تعالى وملائكته ورسله، وعادى جبريل وميكال على وجه الخصوص فإن الله تعالى سيكون له بالمرصاد.

والآية تحمل في معناها البعيد تعريضاً باليهود الذين زعموا أن جبريل (عليه السلام) عدوهم، ونستدل على ذلك من القرينة الخارجية التي هي سبب النزول، فقد روي في سبب نزول هذه الآية

والآية التي سبقتها أن عمر بن الخطاب (ﷺ) قال : ((كنت آتي اليهود عند دراستهم التوراة فأعجب من موافقة القرآن للتوراة، وموافقة التوراة للقرآن، فقالوا : ما أحد أحب إلينا منك، قلت : ولِمَ؟ قالوا : لأنك تأتينا وتغشانا، قلت : إنما أجيء لأعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضاً، فبينما أنا عندهم ذات يوم، إذ مرَّ رسول الله (ﷺ) خلف ظهري، فقالوا : إنّ هذا صاحبك فقم إليه، فالتفت إليه فإذا هو رسول الله (ﷺ) قد دخل خوخة من المدينة، فأقبلت عليهم، فقلت : أنشدكم بالله وما أنزل عليكم من كتاب أتعلمون أنه رسول الله؟ فقال سيدهم : إنا نعلم أنه رسول الله، فقلت: فأنت أهلكهم إن كنتم تعلمون أنه رسول الله ثم لم تتبعوه، قالوا : إنّ لنا عدواً من الملائكة وسَلَماً من الملائكة، فقلت : من عدوكم ومن سلمكم؟ قالوا : عدونا جبريل، وهو ملك الفظاظة والغلظة والأصار والتشديد، قلت : ومن سلمكم؟ قالوا : ميكائيل، وهو ملك الرأفة واللين والتيسير، ... ، ثم قمت فدخ لت الخوخة التي دخلها رسول الله (ﷺ) فاستقبلني فقال : يا ابن الخطاب ألا أقرؤك آيات نزلت عليّ قبل؟ قلت : بلى، فقرأ : (قل من كان عدواً لجبريل فإنه ...... الآيات) قلت : والذي بعثك بالحق ما جئت إلا لأخبرك بقول اليهود، فإذا اللطيف الخبير قد سبقني بالخبر، وقال مقاتل: قالت اليهود: كان جبريل عدونا، أمر أن يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا، فأنزل الله هذه الآية))(١).

ودلالة التعريض هنا (تهديد اليهود ووعيدهم) على أقوالهم تلك، وإنهم إن أصرّوا على افترائهم فليأذنوا بمعاداة الله جل جلاله لهم، ومن عاداه الله تعالى فقد هلك.

ويلحظ أن المولى سبحانه قد جعل فعل الشرط متضمناً لعداوته سبحانه أولاً وذلك تفخيماً لشأن ملائكته ورسله، وإيذاناً بأن عداوتهم عداوته عز وعلا(٢).

وقد أفرد الله تعالى (جبريل وميكائيل) عليهما السلام بالذكر ((لفضلهما كأنهما من جنس آخر أشرف مما ذكر))(٣)، وعطف سبحانه ميكائيل على جبريل عليهما السلام ((لئلا يتوهموا [أي: اليهود] أن محبتهم ميكائيل ستكسب المؤمنين عداوته))(٤).

- **جملة تركيب أسلوب النفي:**

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]

نلحظ أن الجملة التعريضية في هذه الآية كانت (وما مسنا من لغوب) إذ ابتدأت بأداة النفي (ما) غير العاملة، والتي نفت الفعل الماضي الذي تلاها، وقد اتصل هذا الفعل بضمير

---

(١) أسباب النزول، الواحدي : ١٦.

(٢) تفسير أبي السعود: ١/١٠٥.

(٣) الكشاف: ١/٣٠٠.

(٤) التحرير والتنوير: ١/٦٢٣.

الجمع (نا)، المستعمل هنا لأجل تعظيم الذات الإلهية، لأن الله تعالى وحده الذي خلق السموات والأرض وما بينهما من دون أن يشاركه أحد، ولا يخفى أن الضمير (نا) في محل نصب مفعول مقدم، وأن الفاعل (لغوب) قد أُخِّر وسُبق بحرف جر لأجل التوكيد، فالمولى سبحانه لم يمسه أدنى لغوب.

وظاهر الآية يدل على أن الله تعالى حين خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام لم يمسه أي تعب، ولم يَعْيَ – سبحانه – بخلقهن.

ولكننا حين نتأمل في الآية نرى أن الملك جل جلاله لم يُرد هذا المعنى الظاهر فقط، بل أراد أن يُعرّض باليهود الخبثاء الذين تطاولوا على جلالته وعزته فزعموا أنه – سبحانه – تعب من خلق السموات والأرض فاستراح يوم السبت، يقول صاحب أسباب النزول في ذلك : ((قال الحسن وقتادة : قالت اليهود : إن الله خلق الخلق في ستة أيام، واستراح يوم السابع، وهو يوم السبت، يسمونه يوم الراحة، فأنزل الله تعالى هذه الآية))(١).

ودلالة التعريض في هذه الآية هي (تكذيب مزاعم اليهود) وتفنيد ادعاءاتهم. وإن قلنا : لم استعمل (المس)؟ كان الجواب : إن ((حقيقة المس اللمس، أي : وضع اليد على الشيء وضعاً غير شديد، بخلاف اللطم والدفع، فعبَّر تعالى عن نفي أقل الإصابة بنفي المس، وذلك لنفي أضعف أنواع الإصابة))(٢).

والآية الكريمة تحتمل أن يكون فيها تعريض آخر بمنكري البعث، فخلق العالم بأكمله من العدم لا يعني عند الله شيئاً ، فهو أمر يسير وخفيف لا تعب فيه ولا إعياء، والذي يخلق هذا الكون العظيم في ستة أيام – ولو شاء لقال له كن فيكون – من غير أي تعب لقادر على أن يخلق البشر مرّة أخرى يوم القيامة.

الخاتمة والنتائج

نستطيع أن نجمل أهم النتائج في النقاط الآتية:

- كان عدد الجمل التي عرّضت باليهود في القرآن الكريم ثلاثين جملة.
- تنوعت دلالات هذه الجمل فكانت مرتبة على النحو الآتي حسب كثرتها.

التوبيخ: عشرون جملة/التهديد: أربع جمل /التكذيب: جملتان/التحذير منهم : جملتان/كشف الحيل: جملة واحدة/الاحتقار: جملة واحدة

- كانت جميع الدلالات سلبية بسبب حال اليهود من انحرافهم عن الحق وميلهم إلى الباطل.

---

(١) أسباب النزول، الواحدي: ٢٢٦.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٦/٣٢٦، وينظر: لسان العرب: ٣/٤٨٣ (مَسَس).

- اتسقت الجمل المعرّضة باليهود في القرآن الكريم في تراكيب خبرية – اسمية وفعلية –، وكانت (١٤) تركيباً، وفي تراكيب إنشائية – استفهامية وناهية –، وكانت (٤) تراكيب، وفي تراكيب أخرى – شرطية ونافية – فكانت (٥) تراكيب.
- كانت (٢٧) جملة تعريضية من الجمل الثلاثين قد وردت في سور مدنية هي على الترتيب : (البقرة (١٤) جملة) و (آل عمران (٦) جمل) و (النساء (٤) جمل) و (المائدة جملة واحدة). في حين وردت ثلاث جمل فقط في سور مكية هي (الفاتحة، والسجدة، وق). وهذا يتناسب مع وجود اليهود في المدينة المنورة.

ثبت المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد العمادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.

٢) أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق : سلامة أبو النصر، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م.

٣) الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني، تحقيق : عبد المنعم حفاجي، ط٥، بيروت، ١٩٨٠م.

٤) البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

٥) البلاغة الاصطلاحية، عبد العزيز قلقيلة، القاهرة، ١٩٨٠م.

٦) البلاغة العربية – المعاني والبيان والبديع – أحمد مطلوب، بغداد، ١٩٨٠م.

٧) تأويل مشكل القرآن، أبو عبد الله أبن مسلم بن قتيبة، تحقيق : السيد أحمد صقر، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١م.

٨) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد، المسمى اختصاراً (التحرير والتنوير)، محمد الطاهر بن عاشور، تونس، د. ت.

٩) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق : سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

١٠) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٨٧م.

١١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.

١٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صدّيق حسن خان، مطبعة العاصمة، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٣) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، ١٩٥٢م.

١٤) كتاب البديع، عبد الله بن المعتز، نشره (كراتشوفسكي)، دار المسيرة، بيروت، د.ت.

١٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

١٦) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، إعداد وتصنيف : يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، د.ت.

١٧) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق : أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مطبعة الرسالة بمصر، ط١، ١٩٦٢م.

١٨) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم، ط ١، الدوحة، ١٩٨٥م.

١٩) معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٧٢م.

٢٠) مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، تحقيق : أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار الرسالة، بغداد، ١٩٨٢م.

٢١) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق : صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٦م.

الرسائل والأطاريح الجامعية:

١) الجملة التعريضية في القرآن الكريم أنماطها ودلالاتها، رسالة ماجستير، نوار محمد إسماعيل الحيالي، بإشراف: د. عماد عبد يحيى، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤١٩-١٩٩٨.

٢) الكناية في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه، أحمد فتحي رمضان، بإشراف : د. مناهل فخر الدين فليح، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٤١٥-١٩٩٥.